مجلة علمية دولية محكمة متخصصة في العلوم القانونية والاقتصادية والإنسانية
Ru'aa Fikriyya is an international scientific journal specializing in legal, economic, and humanities sciences

البعد القيمي في إصلاح المنظومة التعليمية

هشام الحايك، دكتور وعدل موثق بدائرة استئنافية فاس

ملخص المقال:

تشكل القيم التربوية ركيزة أساسية لبناء الشخصية المتوازنة وتوجيه السلوك، كما تسهم في تعزيز الانسجام بين أهداف التعليم ومتطلبات المجتمع وصون الهوية الوطنية، غير أن تفعيلها يواجه مجموعة من التحديات البيداغوجية والمؤسساتية والاجتماعية، ما يستدعي إدماجها بشكل شامل ومنهجي في كل عناصر العملية التعليمية لضمان تكوين أجيال مواطِنة قادرة على الإسهام الفعّال في التنمية الشاملة للمجتمع.

Abstract :

Educational values form a fundamental pillar for building a balanced personality and guiding behavior. They also contribute to enhancing the alignment between educational goals and societal needs, as well as preserving national identity. However, their implementation faces a range of pedagogical, institutional, and social challenges, which necessitates their systematic and comprehensive integration into all aspects of the educational process to ensure the formation of responsible generations capable of actively contributing to the comprehensive development of society.

مقدمة:

يشكل البعد القيمي أحد المرتكزات الأساسية لأي إصلاح تربوي هادف، إذ لا يمكن الحديث عن جودة التعليم أو تطوير مخرجاته دون استحضار منظومة القيم التي تؤطر سلوك المتعلمين وتوجه ممارسات الفاعلين التربويين، بما يضمن تنمية شخصية المتعلم وتعزيز روح المسؤولية والمواطنة لديه.

أضحى التركيز على القيم ركيزة استراتيجية في بناء التعليم، حيث اعتمدت العديد من الدول على دمجها في مناهجها لتوجيه سلوك المتعلمين وترسيخ مبادئ المسؤولية والمواطنة. ويزداد هذا الاهتمام أهمية في ظل تحديات العولمة والتطور التكنولوجي السريع، الذي يفرض ضغوطا على الهوية والمرجعيات الثقافية، ما يجعل ترسيخ منظومة قيمية قوية أمرا ضروريا لضمان تربية متوازنة وصقل شخصية المتعلم بما يؤهله لمواجهة متطلبات المجتمع الحديث.

وفي السياق المغربي، اكتسبت القيم أهمية خاصة في مشاريع إصلاح المنظومة التعليمية، باعتبارها مدخلا لبناء المواطن الصالح وتعزيز التماسك الاجتماعي، وتحقيق التنمية المستدامة، فضلا عن دورها في توجيه سلوك المتعلمين وترسيخ مبادئ الانتماء والمسؤولية منذ المراحل الأولى للتعليم.

ويشدد جلالة الملك محمد السادس في مختلف خطاباته ورسائله على الدور الأساسي للقيم في منظومة التربية والتعليم بالمغرب، مؤكدا أن التعليم لا يقتصر على نقل المعرفة أو المهارات التقنية، بل يسعى إلى تنشئة أجيال واعية وملتزمة، تحافظ على هويتها الثقافية، وتندمج في المجتمع بشكل إيجابي، مع اعتناق القيم العالمية دون الانغماس في التطرف أو الانعزال.

ومن هذا المنطلق، يسعى هذا الموضوع إلى إبراز مفهوم القيم وخصائصها وأهميتها ضمن الحقل التربوي، مع التركيز على دورها في توجيه سلوك المتعلم وصقل شخصيته، وتعزيز روح المواطنة والانتماء للمجتمع. كما يتناول الموضوع التحديات المختلفة التي تعيق تفعيل البعد القيمي في المنظومة التعليمية المغربية، مع محاولة تقديم حلول عملية وسبل تطويرية لمعالجتها بما يضمن فعالية الإصلاح التربوي.

ويعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، كونه الأنسب لدراسة البعد القيمي في المنظومة التعليمية المغربية، إذ يتيح وصف الواقع التربوي بدقة وتحليل المفاهيم الأساسية للقيم، وأدوارها في توجيه سلوك المتعلمين وتنمية

شخصياتهم. كما يمكن من تحديد المعوقات التي تعيق تفعيل البعد القيمي واستنباط الحلول المناسبة لمعالجتها، مع الربط بين الإطار النظري والتطبيق العملي داخل المدارس.

ولضمان وضوح التسلسل، تم تقسيم خطة الاشتغال إلى محورين رئيسيين: **الأول** لاستعراض المفاهيم وخصائصها وأهميتها، و**الثاني** لتحليل التحديات واقتراح استراتيجيات لتعزيز البعد القيمي في العملية التعليمية.

المحور الأول: القيم في الحقل التربوي: المفهوم والخصائص والأهمية

سأتناول في هذا المحور الأول مفهوم القيم التربوية وخصائصها في الفقرة الأولى، من خلال الوقوف عند دلالاتها النظرية وأبعادها المرجعية ووظائفها في البناء التربوي، بينما أفرد الفقرة الثانية لبيان أهمية القيم في إصلاح المنظومة التعليمية، باعتبارها مدخلا أساسا لتقويم السلوك، وتوجيه الممارسات التربوية، وتحقيق الانسجام بين أهداف التعليم ومتطلبات المجتمع.

الفقرة الأولى: مفهوم القيم التربوية وخصائصها

القيمة في اللغة بالكسر واحدة: القيم، وهو ثمن الشيء[1].

والوارد في المعاجم القديمة استعمال القيمة بمعنى الثمن، وبمعنى الثبات والاستقرار، وقد أجاز مجمع اللغة المصري الاستعمال المعاصر لها بمعنى الفضائل التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني اعتمادا على ورود هذا المعنى في قول الجاحظ: «وقومتك فعلمت قيمتك، فوجدتك قد ناهزت الكمال»، ولما كان وزن الأمة مرتبطا بما فيها من فضائل صارت لها سجايا ثابتة لا تتغير، فإن العلاقة قائمة بين المعنيين القديم والحديث[2].

وتعرف القيم بأنها: "الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني"[3]. فالقيم ليست مجرد معايير نظرية مجردة، بل هي منظومة مرجعية موجهة للسلوك الفردي والجماعي، تضبط العلاقات الاجتماعية وتسهم في تحقيق الانسجام والاستقرار داخل المجتمع، بما يجعلها عنصرا حاسما في بناء الإنسان وصيانة الهوية الجماعية.

---

[1] - الزبيدي محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (33/ 312).

[2] - أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، (1/ 611).

[3] - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، (3/ 1878).

إن القيم بمثابة المعيار الذي في ضوئه يمكن الحكم بخيرية الخير، وحسن الحسن، وقبح القبيح، وما يجوز وما لا يجوز، وما هو مرغوب وما هو غير مرغوب، وغير ذلك مما تبتدعه الجماعة لنفسها ليربط بين أفرادها ويقيم بينهم رأيا عاما له أسس ثابتة ومستمرة نسبيا، وليحكم تصرفاتهم ويظهر كيانهم الخاص. وتعتبر القيم من دوافع السلوك المهمة، ولها أهمية كبرى ليس فقط في حياة الإنسان خاصة، بل أيضا في ما يقوم به الأفراد والجماعات من سلوك[1].

وتعرف القيم التربوية بأنها مجموعة المبادئ والمعايير الأخلاقية والاجتماعية والثقافية التي تسعى المؤسسة التعليمية إلى غرسها في المتعلمين، قصد توجيه سلوكهم وبناء شخصيتهم المتوازنة. وهي تشكل مرجعية ناظمة للفعل التربوي، تؤطر العلاقة بين المتعلم والمدرسة والمجتمع.

وتتميز القيم التربوية بعدة خصائص، يمكن إيجازها في الآتي[2]:

- **القيم معيارية تجريدية:** فهي لا تدرك بشكل مادي ملموس، بل تتجلى عمليا من خلال مؤشرات خارجية ظاهرة قابلة للملاحظة، ما يجعلها إطارا مرجعيا للحكم على سلوك وتصرفات الفرد. فقيمة الصدق على سبيل المثال مفهوم ذهني تجريدي غير محسوس، لكنه يتجلى في السلوك على شكل مؤشرات ظاهرة قابلة للملاحظة، فنصف سلوك المتعلم الذي لا يكذب ويتحرى الصدق في تعامله مع أقرانه ومحيطه بأنه من تجليات قيمة الصدق في وجدانه.

- **القيم ثابتة وكونية:** فهي تمثل المعيار الثابت الذي يقاس به الصواب والخطأ، والأساس الذي تبنى عليه النظم الأخلاقية والقانونية والتربوية، للمحافظة على كينونة المجتمع وهويته الذاتية والحضارية أمام التحولات الداخلية والخارجية التي تمليها اختلاف التصورات والرؤى والثقافات[3].

- **القيم متراتبة وهرمية:** تنتظم في ما بينها ترتيبا هرميا في مستويات مختلفة داخل نسق قيمي، حيث تحتل بعض القيم موقع الصدارة، بينما تأتي قيم أخرى في مستويات أدنى، تبعا لدرجة أهميتها وأولويتها لدى الفرد أو المجتمع. فعلى

---

[1] - شحاتة حسن، النجار زينب، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 2003، ص: 243.

[2] - محمد اعجلي، القيم التربوية، مقاربة مفاهيمية، مجلة كراسات تربوية، المجلد 2، العدد 19، 2025، ص: 111.

[3] - يشير خالد الصمدي إلى أن حضور المرجعية مركزي في بناء منظومة القيم ولا يتناقض مع طبيعة القيم الكونية، فالمرجعية تحدد المفهوم، وفي نفس الوقت تعمل على ترسيخه في المجتمع، وهي الإطار الذي يحكم أي منظومة تربوية تعمل على نقل وترسيخ القيم في نفوس الناشئة بمنظور متجدد يجد جذوره في العمق الحضاري لمرجعيته، وأغصانه في جديد علوم التربية ونظريات التعلم المعاصرة.
خالد الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو-، الرباط، المغرب، 2008، ص: 14.

سبيل المثال، قد تحظى قيمة الأمن بمكانة مركزية في النسق القيمي، خاصة في أوقات الحروب أو الأزمات الاقتصادية والسياسية، في نفس الوقت الذي تتراجع القيم الجمالية أو النظرية إلى مراتب أدنى أقل أهمية.

- **القيم فطرية:** أي جبلية مغروسة في النفس الإنسانية من حيث الطبيعة، فمحبة العدل مثلا صفة مرغوبة ومتجذرة في نفس كل إنسان، كيفما كان شكله ولونه أو جنسه ودينه. وهي خاصية تنسجم مع كونية القيم وثباتها المذكورة آنفا.

في الامتداد التاريخي للحضارة الإسلامية، اضطلعت القيم التربوية بدور بنيوي في تشييد معالم الحضارة والثقافة[1]، إذ لم تكن القيم معطى عارضا أو نتاجا ظرفيا، بل تأسست على أصول مرجعية راسخة في التصور الإسلامي، استمدت منها مشروعيتها وفاعليتها في توجيه الفعل التربوي والاجتماعي[2].

إن القيم والتربية مفهومان متلازمان، بحيث يتعذر لأي منهما استيفاء ماهيته الدلالية والوظيفية إلا في ظل وجود الآخر، ذلك أن التربية هي الوسيلة الأساسية والمركزية لنقل القيم وترسيخها، والقيم هي مضمون التربية وغايتها، فهما على قدر من كبير من التكامل والتداخل الوثيق، على نحو يبدو فيه كل واحد منهما على أنه المدخل الأمثل للآخر، فلا تربية بدون قيم ولا قيم بدون تربية، وهما بهذا وجهان لعملة واحدة[3].

الفقرة الثانية: أهمية القيم في إصلاح المنظومة التعليمية

تكتسي القيم أهمية بالغة في إصلاح المنظومة التعليمية، باعتبارها الأساس الذي تبنى عليه شخصية المتعلم المتكاملة، سواء على المستوى الأخلاقي أو الاجتماعي أو المعرفي. فهي تشكل المرجعية التي توجه السلوك الفردي والجماعي، وتساعد على تنمية وعي المتعلم بمسؤولياته تجاه نفسه ومجتمعه، كما توفر الإطار الذي يربط بين التعليم والمعايير الأخلاقية والاجتماعية.

---

[1] - Gunawan & others, Educational Values in Islamic History: A Historical Review of the Book History of the Arabs, At-Turats Vol 19 No.1, 2025, p. 91.

[2] - تحفظ القيم للمجتمع هويته وتميزه عن غيره من المجتمعات، فالمجتمعات تختلف عن بعضها بما تتبناه من أصول ثقافية ومعايير قيمية، لذلك فالمحافظة على هذه القيم يضمن الحفاظ على هوية المجتمع، التي تؤدي بدورها إلى اضمحلال الهوية في حال اختلال المنظومة القيمية.

أحلام عتيق مغلي السلمي، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد 3، العدد 2، 2019، ص: 86.

[3] - محمد لهبوب، اتجاهات نظرية في التربية على القيم: مقاربة تحليلية نقدية، Arab Journal of Psychology, Volume 4, Issue 1, 2019، ص: 152.

إن القيم تقوم في نفس الإنسان بالدور الذي يقوم به ربان السفينة، فهي توجه سلوكه وقراراته كما يوجه الربان مسار سفينته[1]، فتمنحه القدرة على الثبات على المبادئ واتخاذ الخيارات الصحيحة، وتحميه من الانحراف عن الطريق القويم، ما يجعله أكثر اتزانا في حياته الشخصية والاجتماعية.

وفي السياق المغربي، أكدت الوثائق الرسمية على مركزية البعد القيمي في الإصلاح التربوي، معتبرة القيم إطارا أساسيا لبناء شخصية المتعلم المتكاملة وتوجيه سلوكه، بما يحقق التوازن بين اكتساب المعرفة وتنمية المهارات الأخلاقية والاجتماعية. وقد حرصت هذه الوثائق، بدءا بالدستور المغربي، ومرورا بالميثاق الوطني للتربية والتكوين، وصولا إلى الرؤية الاستراتيجية 2015–2030، على توجيه المنظومة التعليمية نحو غرس قيم المواطنة، والانفتاح، والمسؤولية، والتسامح، والعدل، بما يضمن اندماج المتعلم في محيطه المجتمعي بشكل إيجابي، ويعزز قدرته على المساهمة في التنمية المستدامة وبناء مجتمع متماسك.

تضمن الدستور المغربي مجموعة من القيم الأساسية، من أبرزها الانفتاح، والاعتدال، والتسامح، والحوار، والتي تمثل إطارا مرجعيا لتوجيه السلوك الفردي والجماعي، وضمان احترام الحقوق والحريات الأساسية. وتشكل هذه القيم حجر الزاوية في بناء المجتمع المغربي المتماسك، إذ توفر أساسا لتعزيز المواطنة الفاعلة، وحماية الهوية الوطنية، وتوجيه المنظومة التعليمية نحو غرس القيم الأخلاقية والاجتماعية في المتعلمين، بما يساهم في تنمية شخصياتهم وإعدادهم للمشاركة الإيجابية في الحياة العامة[2].

ويعد الميثاق الوطني للتربية والتكوين من أهم الوثائق الرسمية، إذ أشار في بعض مرتكزاته الثابتة إلى أن نظام التربية والتكوين في المملكة المغربية يهتدي بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية إلى تكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، والمتسم بالاعتدال والتسامح، والشغوف بطلب العلم والمعرفة في أرحب آفاقهما، والمتوقد للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع[3].

[1] - الصديق الصادق العماري، مدخل التربية على المواطنة في الإصلاح التربوي الجديد، مسالك التربية والتكوين، المجلد 3، العدد 1، 2020، ص: 59.

[2] - نص تصدير دستور المملكة المغربية 2011 على أن: "المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشبثة بوحدتها الوطنية والترابية، وبصيانة تلاحم وتنوع مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية - الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية. كما أن الهوية المغربية تتميز بتبوإ الدين الإسلامي مكانة الصدارة فيها، وذلك في ظل تشبث الشعب المغربي بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار، والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء".

[3] - الميثاق الوطني للتربية والتكوين، القسم الأول: المرتكزات الأساسية، المرتكزات الثابتة، المرتكز الأول، ص: 8.

كما نص الميثاق على أن النظام التربوي يتأصل في التراث الحضاري والثقافي للمملكة، مستفيدا من تنوع روافده الجهوية المتفاعلة والمتكاملة، ويهدف إلى حفظ هذا التراث وتجديده، وضمان استمرار إشعاعه لما يحمله من قيم خلقية وثقافية[1].

وتحتل القيم التربوية في الرؤية الاستراتيجية 2015–2030 مكانة محورية داخل المنظومة التعليمية، إذ تعد أساسا لتوجيه التعليم والتعلم، ولا تقتصر على اكتساب المعرفة فقط، بل تهدف إلى تربية المتعلم على المواطنة، واحترام الآخر، والإنصاف، والمسؤولية. وتسعى هذه القيم إلى بناء مدرسة تنمي السلوك الإيجابي والشخصية المتوازنة، وتؤهل المتعلم للاندماج الفعال في المجتمع[2].

يلاحظ من خلال هذه الوثائق أن التربية على القيم تحتل مركزا مهما ضمن تصور الوزارة الوصية للمشروع الإصلاحي، وهو ما يبين بأن الأزمة القيمية التي تعيشها المنظومة التربوية تتجاوز هذه الوثائق إلى ما هو إجرائي وتنزيلي، وهو ما يطرح السؤال بخصوص تحديات تفعيل البعد القيمي في المنظومة التعليمية المغربية وسبل العلاج.

المحور الثاني: تحديات تفعيل البعد القيمي في المنظومة التعليمية المغربية وسبل علاجه

سنعرض في هذا المحور أهم التحديات التي تعترض تنزيل القيم التربوية على مستوى التصور والممارسة داخل المنظومة التعليمية، وما يواكبها من إكراهات مؤسساتية وبيداغوجية ومجتمعية، وكذا أبرز سبل تعزيز البعد القيمي وتفعيله بصورة ناجعة، بما يضمن إدماجه في مختلف مكونات الفعل التربوي ويسهم في الارتقاء بأدوار المدرسة في التنشئة وبناء الإنسان.

الفقرة الأولى: تحديات تنزيل البعد القيمي في المدرسة المغربية

إن دراسة الخطابين المدرسي والمجتمعي بالمغرب تكشف عن حالة من عدم التناغم، بل تناقض على المستويين الذاتي والبيني. فرغم اشتراكهما في الوظيفة التربوية العامة، يظهر خطاب المدرسة فرقا بين ما يعلن من قيم ومبادئ على مستوى القول، وما يتحقق فعليا على مستوى المخرجات، فيما يظل خطاب المجتمع غالبا مضادا لهذه القيم، نتيجة لما تسوده من معتقدات وسلوكيات قائمة[3].

---

[1] - الميثاق الوطني للتربية والتكوين، القسم الأول: المرتكزات الأساسية، المرتكزات الثابتة، المرتكز الثالث، ص: 8.

[2] - المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي *رؤية استراتيجية للإصلاح 2015–2030: من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء*، الرباط، 2015.

[3] - محمد بوكلاح، منظومة القيم بين الخطاب التربوي والواقع المجتمعي، مجلة مسالك التربية والتكوين، المجلد 3، العدد 1، 2020، ص: 25.

وهكذا، يشكل هذا التضاد بين الخطابين أساس ما يعرف بـ«أزمة القيم» أو «صدام القيم»، وهي الأزمة التي يهدف إصلاح المنظومة التربوية المغربي إلى تجاوزها من خلال مواءمة الممارسات التربوية مع القيم المنشودة في المجتمع، وضمان انسجام التعليم مع التنمية الأخلاقية والثقافية للمواطن.

رغم التنصيص الواضح على القيم في المرجعيات الرسمية، إلا أن تفعيلها يواجه عدة تحديات، لعل أبرزها:

1-هيمنة البعد المعرفي والتقويمي على حساب البعد القيمي: الذي يتجلى في تركيز الاهتمام على المعارف القابلة للقياس والاختبار، وتقويم فعالية المنظومة التعليمية من خلال نتائجها التقويمية لا من خلال أثرها التربوي والأخلاقي، وهو ما أدى إلى تراجع حضور القيم في الممارسات التعليمية اليومية وفضاءات التنشئة داخل المؤسسة التعليمية، وانحصارها في الغالب في مضامين نظرية وشعارات خطابية محدودة الأثر السلوكي.

وفي ظل هذا الوضع، يظل النقاش التربوي حول القيم موسوما بعدم الدقة المفاهيمية، إذ تختلط القضايا القيمية ذات الطابع التربوي العميق بإشكالات تنظيمية وبيداغوجية وتقويمية. فغالبا ما يختزل الحديث عن القيم في مظاهر مثل «الانضباط الشكلي» أو الامتثال السلوكي، ويتم التعامل معها باعتبارها غاية تربوية في حد ذاتها، في حين أنها لا تعدو أن تكون وسائل إجرائية مرتبطة بكيفية اشتغال المواد الدراسية وآليات التدريس والتقويم، ومدى قدرتها على تحقيق وظائف تعليمية محددة، دون أن تفضي بالضرورة إلى بناء منظومة قيمية راسخة لدى المتعلمين[1].

ويعكس هذا الوضع تحديا جوهريا أمام جهود إصلاح المنظومة التعليمية، إذ يبرز الفجوة بين ما يعلم نظريا وما يمارس فعليا داخل المؤسسات التعليمية. فغياب التفعيل العملي للبعد القيمي يجعل تربية المتعلمين على القيم السلوكية والأخلاقية قضية ثانوية، ويؤكد أن أي إصلاح تربوي يركز فقط على المعارف والمهارات التقويمية دون ربطها بالقيم يبقى ناقصا وغير قادر على تحقيق أهدافه التربوية الحقيقية.

2 - ازدواجية القيم: إذ تشير بعض الأبحاث السوسيولوجية إلى أن التحولات التي شهدها المجتمع المغربي، منذ بداية الاحتكاك بالتحديث الغربي، قد أفضت إلى انشطار قيمي تميز بازدواجية تترك مجالا لتعايش قيم تقليدية وأخرى حداثية. ويكاد لا يوجد قطاع اجتماعي أو نشاط اقتصادي لا تتمظهر فيه تلك الازدواجية. أما على المستوى الثقافي

[1] - William Chandler Bagley, Educational Values, The Macmillan Company, New York, 1911, p. 117.

والتربوي[1]، حيث يحدث التفاعل والتثاقف أكثر، فإن تلك الازدواجية قد تتخذ طابعا صداميا هو نتاج علاقة تنافرية بين نسقين مختلفين في المرجعيات التاريخية والثقافية[2].

وكان للتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وانتشار مبادئ حقوق الإنسان أثر كبير في اختراق قيم جديدة -تقوم على الحداثة والتنوع الثقافي والمواطنة الكونية- فضاء المؤسسات التعليمية، مما وضع المتعلمين أمام "تناقضات" كبيرة، تمثلت أساسا في محاولة البعض منهم المزاوجة بين القيم التقليدية، وما ينتج عنها من مواقف وتمثلات اتجاه الذات والعالم والآخرين، وبين القيم الحداثية، وما يترتب عنها من ضرورة إجراء تعديلات مستمرة على سلوكياته ومواقفه[3].

ولا تعدو أن تكون هذه المقاربة التوفيقية التي يتبناها الاتجاه التربوي التوفيقي -حسب بعض الباحثين- سوى محاولة تلفيقية تسعى للجمع بين مرجعيتين مختلفتين على مستوى الأسس والغايات والقيم، لأنها في الأصل ليست سوى اختيارا تمليه الصراعات السياسية بين الأيدولوجيات والقوى المهيمنة داخل المجتمع، أكثر مما هو اختيار تربوي مؤسس على ما هو علمي، وهو ما يجعل المدرسة في ظل هذا الاتجاه خاضعة للإملاءات والتوافقات السياسية أكثر من خضوعها لمقتضيات العلم والتطورات البيداغوجية الحديثة[4].

3 - ضعف التكوين الأساس والمستمر للمدرسين في مجال التربية على القيم: فعلى رغم كفاءة المدرسين في الجوانب المعرفية والتقويمية، إلا أنهم يفتقرون إلى تكوين مخصص يمكنهم من توظيف القيم تربويا في الممارسة التربوية اليومية وكافة أنشطة المؤسسة التعليمية. ويزداد هذا النقص وضوحا بسبب ضعف برامج التكوين المستمر، التي لا توفر لهم فرصا عملية لصقل مهاراتهم في ترسيخ القيم أو لمشاركة الخبرات والممارسات الناجحة في هذا المجال.

---

[1] - إن تحليل المرجعيات النظرية للمنظومة المدرسية ومعها الوثائق الإطار الناظمة لجل الفعاليات التربوية والمؤطرة للنظم القيمية المراد تصريفها في سياق المدرسة المغربية يضعنا أمام سياق تربوي مفارق ومتذبذب، تتماوج في دائرته مرجعيات قيمية متنافرة ومتضاربة، تتأرجح بين الخيار الحداثي المشبع بالقيم الكونية العابرة للثقافات والممتدة في سياقات كونية لا تعترف بالحدود الجغرافية والتباينات المناطقية والخصوصيات المحلية وبين الخيار التقليداني المرتكز على النظم القيمية المحلية والمرتهن إلى فلسفة اجتماعية ماضوية، تمتح من معين الروافد الثقافية المحلية باعتبارها مقومات للهوية المحلية ذات الملمح الخصوصي المنسجم مع مكونات الشخصية القومية في شتى أبعادها الدينية والتاريخية والحضارية.

محسن اجعيدان، بدر الحجاجي، صراع المرجعيات القيمية في المنهاج التربوي وأثره على جودة التعلمات، مجلة كراسات تربوية، العدد 10، 2023، ص: 48.

[2] - الخياري عبد الله، المدرسة ورهانات التربية على القيم، مجلة كلية علوم التربية، العدد 7 – السلسلة الجديدة، 2015، ص: 50.

[3] - امبارك بوعصب، تحولات منظومة القيم وصراع المرجعيات بالمدرسة المغربية، مجلة الرواق، العدد 3، 2016، ص: 12.

[4] - محمد لهبوب، اتجاهات نظرية في التربية على القيم: مقاربة تحليلية نقدية، ص: 152.

وبالرغم من شروع الوزارة في إدماج القيم في مجزوءات التكوين المستمر الموجهة للفاعلين التربويين، فإن هذا التكوين يظل دون الطموح المنشود في بلورة ممارسات تربوية فعالة ومثمرة على صعيد الانخراط الإيجابي والناجح في التربية على القيم[1].

4 - اتساع نطاق الهوة بين الخطاب الرسمي وبين الممارسة الفعلية للقيم: ذلك أن تضخم المكون النظري والمرجعي، على الصعيدين الوطني والدولي، لا يقابله ما يكفي من ممارسات بيداغوجية وتعليمية فعالة، حيث تظل الجهود العملية لتفعيل القيم في المدرسة ومحيطها البيئي والاجتماعي محدودة الأثر. كما أن ضعف الربط بين النظرية والتطبيق يجعل العديد من المبادرات القيمية عرضية وغير مستمرة، مما يحد من قدرة المؤسسة التعليمية على ترسيخ السلوكيات والقيم الإيجابية لدى المتعلمين بشكل متكامل ومستدام[2].

إضافة إلى ذلك، تتضح فجوة كبيرة بين الخطاب التربوي الرسمي والممارسة اليومية للقيم داخل الصفوف وفضاءات المدرسة المختلفة، إذ غالبا ما تقدم القيم على شكل مضامين نظرية ضمن المناهج والبرامج، دون أن تتحول إلى سلوكيات عملية ملموسة لدى المتعلمين. فالتعليم على القيم يظل في كثير من الأحيان شعارات أو محاضرات نظرية، بينما يندر أن تنعكس هذه القيم في أنشطة تربوية يومية أو تفاعلات حقيقية بين التلاميذ والمعلمين، مما يقلل من أثرها على ترسيخ سلوكيات إيجابية وبناء شخصية المتعلم بشكل متكامل ومستدام، ويزيد من اتساع الهوة بين النظرية والتطبيق داخل المنظومة التعليمية.

5 - تأثيروسائل الإعلام والفضاء الرقمي: فلا شك أن الانفتاح الثقافي العالمي عبر انتشار ثقافة الإنترنيت ووسائل الاتصال والإعلام أثر على ثقافة المجتمع المغربي، بخصوص الهوية والانتماء والتعددية والحرية والمشاركة السياسية، في الوقت الذي بقيت فيه المدرسة المغربية محافظة على أساليبها التقليدية رغم كل المحاولات التصحيحية. لذا فإن استيراد الأفكار والمفاهيم عبر وسائل الفضاء الإعلامي ومختلف طرق الاتصال أدى إلى التأثير في الصورة الذهنية للمتعلمين حول مفهوم القيم وأبعادها. مما يجعل المدرسة المغربية أمام تحديات كبيرة من قبيل إيجاد صيغة واضحة تخرج المتعلمين من حالة الحيرة والقلق بل التناقض الذي يعيشون فيه باستمرار، تتمشى والتغيرات المستمرة[3].

---

[1] - الدراسة الميدانية الوطنية حول القيم وتفعيلها المؤسسي: تغيرات وانتظارات لدى المغاربة، القيم وسؤال التنمية في المجتمع المغربي الحصيلة والآفاق، الدراسة الوثائقية، التقرير الأول، الولاية التشريعية 2021-2026، منشورات مجلس النواب دجنبر 2022، ص: 53.

[2] - القيم وسؤال التنمية في المجتمع المغربي الحصيلة والآفاق، م س، ص: 53.

[3] - الصديق الصادق العماري، مدخل التربية على المواطنة في الإصلاح التربوي الجديد، مسلك التربية والتكوين، المجلد 3، العدد 1، 2020، ص: 61.

وقد شكلت هذه الظاهرة تحديا للتربية في العديد من المجتمعات الإنسانية، إذ انهارت الحدود الثقافية، وسادت ثقافة الإنترنيت، وانتشر التواصل الإنساني بين الأفراد في مختلف المجتمعات بغض النظر عن الجنس أو اللون أو العرق أو الدين، مما يسر تبادل الأفكار والمعتقدات ومهد الطريق إلى إحداث تغيير في معظم المجتمعات الإنسانية سواء كانت متقدمة أو نامية[1].

إن تفعيل البعد القيمي في المنظومة التعليمية المغربية يواجه تحديات متعددة ومترابطة، أبرزها ما أشرنا إليه آنفا، إضافة إلى تراجع الدور المنوط بالأسرة في غرس القيم وتنشئة النشء عليها. فإذا ظل التركيز منصبا على المعارف والاختبارات دون تكريس قيم حقيقية، وإذا غابت البرامج التكوينية الفعالة والدعم المؤسسي للمعلمين، فأنى للنشء أن يتربى على القيم.

الفقرة الثانية: سبل تعزيز البعد القيمي داخل المنظومة التعليمية

لمواجهة تحديات ضعف البعد القيمي في التعليم، لا بد من إدراك أن القيم ليست عنصرا ثانويا، بل ركائز أساسية تكمل الوظائف المعرفية للمدرسة. فغياب التركيز على القيم ينتج تعليما ناقصا يفتقر إلى تكوين شخصيات مسؤولة وقادرة على التفاعل الإيجابي مع المجتمع.

لذلك، يجب اعتماد تدابير متكاملة لإدماج القيم في المناهج وطرق التدريس وأساليب التقويم والأنشطة الموازية، بما يحقق توازنا بين الوظيفة المعرفية والوظيفة التربوية، ويسهم في تكوين متعلم متشبع بالقيم، قادر على الانخراط الفعال في المجتمع، وتعزيز مناخ مدرسي يقوم على القدوة والمسؤولية والالتزام الأخلاقي.

وفي هذا الإطار، تتبلور مجموعة من السبل والاستراتيجيات الفعالة التي يمكن اعتمادها لتحقيق هذا الهدف المنشود، حيث تتيح هذه الآليات توجيه الجهود التربوية بشكل منظم ومنسجم، وتعمل على تعزيز دور المدرسة في ترسيخ القيم وغرس الفضائل، ولعل أبرزها الآتي:

1 - اعتماد مقاربة شمولية تجعل من القيم بعدا عرضانيا حاضرا في جميع المواد الدراسية ومختلف الأنشطة التربوية، بحيث لا يظل ترسيخ القيم مقتصرا على مواد بعينها أو مناسبات تعليمية محدودة، بل يصبح مكونا بنيويا موجها

[1] - الصديق الصادق العماري، مدخل التربية على المواطنة في الإصلاح التربوي الجديد، ص: 66.

للمضامين والطرائق البيداغوجية وأساليب التقويم، بما يسهم في بناء شخصية المتعلم بناء متوازنا يجمع بين التحصيل المعرفي والتنشئة القيمية[1].

2 - ضرورة العمل على توفير تكوين جيد ومتكامل للفاعل التربوي، ولا سيما في مجال التربية على القيم، باعتباره عنصرا محوريا في تنزيل البعد القيمي داخل المؤسسة التعليمية، لا سيما وأن المنظومة القيمية المدرسية لا تستهدف المتعلمين والمتعلمات فقط، بل تشمل الفاعل التربوي أيضا، من حيث وعيه بالقيم وتمثله لها وقدرته على تجسيدها في ممارساته التربوية اليومية، بما يجعل منه قدوة تربوية فاعلة ومؤثرة في محيطه المدرسي[2].

3 - تفعيل الحياة المدرسية وتقوية الشراكة بين المدرسة والأسرة والمجتمع المدني من الآليات الأساسية لترسيخ القيم عمليا، ويستلزم ذلك أن تعمل المنظومة التربوية على تطوير شركائها المؤسساتيين مع المحيط، مستفيدة من قدراتهم على الاستثمار الجيد في الإمكانات المعرفية والاجتماعية والثقافية والمادية[3].

وهو ما نص عليه الميثاق الوطني للتربية والتكوين، في الدعامة السادسة عشرة: "ينظر إلى نظام التربية والتكوين كبنيان يشد بعضه بعضا، حيث تترابط هياكله ومستوياته وأنماطه في نسق متماسك ودائم التفاعل والتلاؤم مع محيطه الاجتماعي والمهني والعلمي والثقافي. ومن ثم، فإن إصلاح كل جانب من جوانبه، وتقويم نتائجه وملاءمته المستمرة، تتطلب التحكم في كل المؤثرات والعوامل المتفاعلة فيه. وبناء عليه، يوحد الإشراف على وضع السياسات العمومية التربوية والتكوينية وتنفيذها وتتبعها، على نحو يضمن انسجامها وقابليتها للتحقيق بشكل متماسك، وعملي وحثيث، مع ضبط المسؤولية والمحاسبة عليها بوضوح"[4].

---

[1] - يقترح خالد الصمدي أن يتم إدماج القيم في سياق المواد الحاملة، بأحد الصور الآتية:

- تخصيصها بمجزوءة خاصة ضمن المحتوى العام لمنهاج المادة، مع الحرص على ترابطها مع باقي المجزوءات الأخرى داخل نفس المادة الدراسية.

- إدماجها في شكل دروس مستقلة داخل برنامج المواد الحاملة: وهذا يقتضي الدقة في اختيار المواد المناسبة، والدقة في اختيار عناوين الدروس، والدقة أيضا في إدماجها في سياق تعليمي بشكل انسيابي لا يبدو فيه تكلف ولا إقحام.

- إدماجها في شكل مفاهيم ومصطلحات وأفكار ضمن دروس وأنشطة تعليمية حاملة: وذلك من خلال عرضها في شكل نماذج وأمثلة وتطبيقات عملية، أو في محتوى وسيلة تعليمية، أو في سياق لغوي مقصود بالتحليل.

خالد الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها، ص: 65 – 66.

[2] - المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي (ملخص)، المملكة المغربية، الرباط، 2017.

[3] - المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي، م س.

[4]- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المجال الخامس: التسيير والتدبير، الدعامة السادسة عشرة: إقرار اللامركزية واللاتمركز في قطاع التربية والتكوين، المادة 152.

كما شدد جلالة الملك في خطاب الذكرى الستين لثورة الملك والشعب على أهمية دور الأسرة والمدرسة في ترسيخ القيم والأخلاق لدى الأبناء، مؤكدا أن الشراكة والتكامل بين كل من الأسرة والمدرسة يعتبر عاملا محوريا لضمان نشأة متوازنة للأجيال القادمة، قادرة على الحفاظ على الهوية الوطنية والمساهمة بفعالية في تنمية المجتمع[1].

4 - استثمار الوسائط الرقمية والتربوية الحديثة في نشر القيم الإيجابية، باعتباره وسيلة محورية لتعزيز البعد القيمي في المدرسة المغربية، بما يضمن انسجامها مع التحولات المجتمعية المعاصرة دون التفريط في ثوابتها القيمية الراسخة. ويساهم هذا الاستثمار في ترسيخ القيم الإنسانية والوطنية لدى المتعلمين، وتنمية وعيهم الاجتماعي والأخلاقي، بما يجعلهم قادرين على مواجهة التحديات المعرفية والسلوكية للمجتمع الحديث والانخراط الفاعل في بنائه وتنميته.

وقد أكد جلالة الملك محمد السادس على أن رأس المال البشري يشكل أهم مورد للمغرب، وأساس تحقيق التنمية المستدامة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. كما شدد على أن الاستثمار المستمر في التربية والتعليم يشكل أداة فعالة لتعزيز قدرات المواطنين، بما يمكنهم من الاعتزاز بهويتهم الوطنية والانفتاح على القيم العالمية، وتكوين أجيال متوازنة تجمع بين الأصالة والانفتاح، قادرة على مواجهة تحديات المستقبل والمساهمة الفاعلة في بناء مجتمع معرفي متطور[2].

إن نجاح المؤسسة التعليمية في تربية المتعلمين على القيم وتعميق الاعتزاز بالذات الوطنية رهين بتذليل مجموعة من الصعوبات؛ سواء المرتبطة باختيار الطرائق البيداغوجية الملائمة، أو بإدراك المتعلم للحقوق التي يتمتع بها والواجبات التي ينبغي الالتزام بها، حتى لا تبقى هذه القيم مبادئ سلوكية مجردة وطوباوية ما دامت لا تترجم ميدانيا في الحياة اليومية للمتعلمين ولا تمارس واقعيا وإجرائيا[3].

وإن معالجة هذه الصعوبات تستلزم إرادة حقيقية ورؤية واضحة، إضافة إلى آليات فعالة تضمن تفعيل المدرسة في غرس القيم وتحقيق التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع الأخرى كالأسرة والمسجد ووسائل الإعلام، بما يمكن الأجيال القادمة من التمسك بالحقوق والواجبات والانتماء الوطني، ومواجهة تحديات المجتمع المعاصر بوعي ومسؤولية.

---

[1]- جاء في خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس بمناسبة الذكرى الستين لثورة الملك والشعب: "يعرف المغاربة بحرصهم الشديد على تربية أبنائهم تربيةً حسنة، وغرس الأخلاق الحميدة فيهم، وتعزيز التزامهم بالقيم الوطنية الراسخة. وفي هذا السياق، تتكامل الأسرة والمدرسة، مع انفتاحهما على العالم المحيط".

[2]- ورد في الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الرابعة من الولاية التشريعية التاسعة: "إننا نعتبر أن الرأسمال البشري هو رصيدنا الأساسي، في تحقيق كل المنجزات، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحقوقية، وسلاحنا لرفع تحديات التنمية، والانخراط في مجتمع المعرفة والاتصال.
لذا، ما فتئنا نعطي بالغ الأهمية، لتكوين وتأهيل مواطن، معتز بهويته، ومنفتح على القيم الكونية، ولاسيما من خلال مواصلة إصلاح منظومة التربية والتكوين".

[3] - امبارك بوعصب، تحولات منظومة القيم وصراع المرجعيات بالمدرسة المغربية، م س، ص: 12.

فالرهان الذي يرفعه المغرب من أجل تحقيق فعلي لكل القيم السامية يحتاج إلى قوة وإرادة، كما يحتاج إلى رؤية تفعيلية وصريحة، إضافة إلى آليات ووسائل محبوكة لها من الإمكانات ما يؤهلها إلى تحقيق المبتغى الدستوري، وهو السؤال المشروع والتحدي الكبير أمام المدرسة المغربية، باعتبارها مؤسسة اجتماعية تعيش في تفاعل مع مؤسسات المجتمع الأخرى[1].

يبقى البعد القيمي حجر الأساس في أي إصلاح حقيقي للمنظومة التعليمية بالمغرب، إذ إن غيابه يجعل الإصلاح ناقصا وغير قادر على تحقيق أهدافه التربوية والاجتماعية. ومن هذا المنطلق، يتطلب ترسيخ القيم داخل المدرسة المغربية تضافر جهود جميع الفاعلين التربويين والمؤسساتيين، بما يضمن بناء مدرسة مواطنة، قادرة على تكوين أجيال واعية، تسهم في تنمية المجتمع، وتعزيز تماسكه، وصون هويته الحضارية، قال تعالى :﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾[2].

[1] - الصديق الصادق العماري، مدخل التربية على المواطنة في الإصلاح التربوي الجديد، مسالك التربية والتكوين، المجلد 3، العدد 1، 2020، ص: 59.

[2] - سورة الرعد، الآية: 17.

لائحة المصادروالمراجع:

باللغة العربية:

- ✓ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- ✓ أحلام عتيق مغلي السلمي، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد 3، العدد 2، 2019.
- ✓ أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- ✓ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- ✓ امبارك بوعصب، تحولات منظومة القيم وصراع المرجعيات بالمدرسة المغربية، مجلة الرواق، العدد 3، 2016.
- ✓ خالد الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو-، الرباط، المغرب، 2008.
- ✓ الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الرابعة من الولاية التشريعية التاسعة.
- ✓ خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس بمناسبة الذكرى الستين لثورة الملك والشعب.
- ✓ الخياري عبد الله، المدرسة ورهانات التربية على القيم، مجلة كلية علوم التربية، العدد 7 – السلسلة الجديدة، 2015.
- ✓ الدستور المغربي لسنة 2011.
- ✓ الزبيدي محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- ✓ شحاتة حسن، النجار زينب، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 2003.
- ✓ الصديق الصادقي العماري، مدخل التربية على المواطنة في الإصلاح التربوي الجديد، مسالك التربية والتكوين، المجلد 3، العدد 1، 2020.

- ✓ القيم وسؤال التنمية في المجتمع المغربي الحصيلة والآفاق، الدراسة الوثائقية، التقرير الأول، الولاية التشريعية 2021-2026، منشورات مجلس النواب دجنبر 2022.
- ✓ المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي *رؤية استراتيجية للإصلاح 2015–2030: من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء*، الرباط، 2015.
- ✓ المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي (ملخص)، المملكة المغربية، الرباط، 2017.
- ✓ محسن اجعيدان، بدر الحجاجي، صراع المرجعيات القيمية في المنهاج التربوي وأثره على جودة التعلمات، مجلة كراسات تربوية، العدد 10، 2023.
- ✓ محمد اعجلي، القيم التربوية، مقاربة مفاهيمية، مجلة كراسات تربوية، المجلد 2، العدد 19، 2025.
- ✓ محمد بوكلاح، منظومة القيم بين الخطاب التربوي والواقع المجتمعي، مجلة مسالك التربية والتكوين، المجلد 3، العدد 1، 2020.
- ✓ محمد لهبوب، اتجاهات نظرية في التربية على القيم: مقاربة تحليلية نقدية، Arab Journal of Psychology, Volume 4, Issue 1, 2019.
- ✓ الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

باللغة الأجنبية:

- ✓ Gunawan & others, Educational Values in Islamic History: A Historical Review of the Book History of the Arabs, At-Turats Vol 19 No.1, 2025.
- ✓ William Chandler Bagley, Educational Values, The Macmillan Company, New York, 1911.